

التربية والفلسفة التربوية من منطلق وظيفي

Education and Educational Philosophy from a Functional Perspective.



فرحات فريدة *

جامعة 08 ما 1945 قالمة

farhet.farida25@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/09/06 تاريخ القبول 2023/10/16 تاريخ النشر 2023/12/31



ملخص:

الأزمة التربوية من بين عديد الأزمات العالقة والتي هي حيز الطرح و المعالجة في الفكر العربي المعاصر، لأهميتها المنبثقة من الموضوع الذي تناوله و الوظيفة التي تؤديها وتكمن في إعداد الناشئة و تحقيق نمائها عبر العضوية الاجتماعية التي تختص بالتميز بالماهية الثقافية، ولأن هذا الفرد هو العنصر الأساسي في تطور المجتمعات وبناء الحضارات وصنعها بفاعلة الذات، بات من الضروري بمكان الإهتمام به في الدراسات التربوية والأطاريح الفلسفية، وعليه فإن الإشكالية التي يترتب علنا إثارتها كيف يمكن التكامل الوظيفي بين الفعل الفلسفي و الفعل التربوي في عملية تأهيل الفرد والإرتقاء به لصفة المواطنة وإكتمال بنيته الاجتماعية؟ و ماهي السبل التربوية والفلسفية الكفيلة بتحقيق تجاوز الفرد لذاته و لآليات عجزه أمام عديد العوائق الإستيمية التي تعترض مساره أثناء قيامه بوظيفته الاجتماعية؟ و ما قيمة فلسفة الفعل في العملية التربوية؟

* فرحات فريدة

الكلمات المفتاحية: الأزمة التربوية؛ الفكر العربي المعاصر؛ التربية؛ الفعل الفلسفي؛ المواطنة؛ العملية التربوية.

Abstract:

he educational crisis is one of many pressing issues that are the subject of discussion and examination in contemporary Arab thought. Its importance arises from the topic it addresses and the role it plays, which lies in preparing and nurturing the younger generation through the social organicity specialized in cultural excellence. Since the individual is the fundamental element in the development of societies, the construction of civilizations, and their self-empowerment, it has become imperative to focus on this individual in educational studies and philosophical frameworks. Therefore, the fundamental question that needs to be addressed is how functional integration can be achieved between philosophical action and educational action in the process of individual development and the enhancement of their citizenship and social structure. What are the educational and philosophical means capable of enabling the individual to surpass themselves and the mechanisms of their inadequacy in the face of numerous systemic obstacles encountered during the fulfillment of their social role? What is the value of the philosophy of action in the educational process?

key words: Educational Crisis, Contemporary Arab Thought, Education, Philosophical Action, Citizenship, Educational Process.

مقدمة :

يعرف الإنسان بأنه 'كائن ثقافي' وهو وفقا لهذه الكينونة المتميزة بخصائص البعد الثقافي كالتعدد و التنوع و الاختلاف يخضع لمعايير التغير و التطور مما يستوجب وجود موجه لضبط عملية التحول في المسارين المعرفي والعلمي للإنسان كفرد يخضع لكينونة اجتماعية تتأسس بناء عليها الهوية الثقافية، و يكمن هذا الضابط في الفعل التربوي وهو من منطلق وظيفي يعمل على تأهيل الناشئة للتمتع بصفة المواطنة ويصبحوا بذلك عناصر فاعلة في المجتمع و الوطن، يحافظون على قيم و ثوابت تراثهم الاجتماعي و يدافعون ويدفعوا الأذى لكل المخاطر التي من شأنها أن تهدد السيادة الوطنية، غير أن هذه الوظائف و المهام التربوية تعترضها أثناء عملية الممارسة عوائق كمعوقات تمخضت

عما يمكن أن يصطلح عليه بالأزمة التربوية، يحدث ذلك في غضون ما تشهده البيئة التربوية من تفاقم وتآزم للوضعية التي آلت إليها سواء على مستوى المدرسة التي تصنف ضمن التعلم القصدي أو ما يتعلق بالتعلم العفوي التلقائي الذي يحصله الطفل منذ بداية حياته في كنف أسرته وعضويته الاجتماعية، وسواء كان التعلم قصديا واعيا أو عفويا تلقائيا فإنه ينم عما هو موسوما بالتربية التي ولأهميتها وانعكاس نتائجها على واقع ومستقبل الأجيال التي تعمل على تحقيق نماء شخصيتها وتكاملها وتفاعلها مع البيئة بأنواعها أولى اهتماما بالغاً بها عديد المفكرين في قضايا ومستقبل الواقع العربي المعاصر وكذا المهتمين بالمجال التربوي، ولهذا الأهمية ارتأينا إلى معالجة جوانب من الفكر التربوي في الواقع العربي المعاصر، وكان منطلق هذه الدراسة البحثية منصبا حول التربية والفلسفة التربوية من منطلق وظيفي وكيف يمكن المزاوجة بينهما في نسق علائقي لمولود جديد يصب في مجال علوم التربية موسوما بفلسفة التربية أو الفلسفة التربوية، ولأن التربية تتجه قصدا وغاية نحو تأصيل ماهوية الفرد وطبيعة كينونته يتعين علينا صياغة إشكالية هذه الدراسة النوعية التي تطرح قضية التربية من جهة وفلسفة التربية من جهة أخرى في صيغة استفهامية تتمحور حول مدى إمكانية قيام فلسفة تربوية وهل يمكن إحداث تفاعل بين التربية والفلسفة وبين الفلسفة وعلوم التربية؟ وهل يمكن قيام تربية دون أصول فلسفية كمرجعية تنبثق منها الدراسات التربوية؟

ولمعالجة هذه الإشكالية والمشكلات التي تتضمنها حاولنا التنقيب عن موضوع التربية، ثم تحديد طبيعته، فالعلاقة بين هذا الموضوع وفلسفة التربية.

وهي كمصطلح تحمل دلالة فلسفية وبحسب الترجمة "التربية في الفرنسية Education في الإنجليزية Education culture في اللاتينية Educatio هي تبليغ الشيء إلى كماله أو هي كما يقول المحدثون تنمية الوظائف النفسية بالتمرين حتى تبلغ كمالها ... ومن شروط التربية الصحيحة أن تنمي شخصية الطفل من الناحية الجسمية

والعقلية والخلقية حتى يصبح قادرا على موافقة الطبيعة ويجاوز ذاته"¹، إن هذا التعريف لدلالة التربية اصطلاحيا يركز على الوظيفة التي من خلالها تتجلى أهمية التربية، والمتمثلة في تنمية الجوانب الأربعة المكونة للتربية حتى تحقق الشخصية تكاملها بسلامة البعد العقلي، النفسي، الجسمي، الاجتماعي باعتبارها مراحل في تكوين الأنا أو الذات ثم تكاملها وظيفيا، بمعنى أن كل بعد يؤدي وظيفته الخاصة به ويتفاعل مع غيره من الأبعاد كأن يتكامل البعد النفسي في وظيفته التي تنطوي على تحقيق التوازن بين النفس كشعور والوعي كإدراك الذات لحالتها الشعورية ثم تموثل الذات بعضوية اجتماعية تكتسب من خلالها الذات بعدا ثقافيا يمكنها من صقل الشخصية من جهة و إحداث التغير في الجماعة التي تنتمي إليها من حيث تعديل العادات و التقاليد البالية و إقتراح البديل الكفيل بتخليص المجتمع من المعتقدات القائمة على الخرافة إلى موروث ثقافي باعث للتكيف مع متطلبات العصرنة التي تستوجب لمواكبتها أسس علمية و حضارية تخضع لمعايير تربوية وبهذا فإن القول بتنشئة الفرد بالتربية يراد منها "يولد الإنسان الفرد كائنا عضويا يتشكل ويصبح كائنا اجتماعيا عن طريق المجتمع وثقافته، فالطفل يولد وينمو في المجتمع الذي يعيش فيه وفق نظام ثقافي معين يشتهر به الأفراد والجماعات ومن خلال التفاعل، هكذا ينمو الأطفال والذي تتعدد صورته كال تقليد والمشاركة والأخذ والعطاء... إن هذه العملية عملية دمج الفرد في الجماعة بقيمتها وعاداتها سلوكياتها وتصوراتها هي ما تسمى بعملية التنشئة الاجتماعية... عن طريقها يستطيع إشباع حاجاته العصرية والاجتماعية بدون التربية، ومن ثم يظهر تطوره وأهمية التربية في عملية التشكيل الاجتماعي للأفراد."²، يتبين من هذا أن التنشئة الاجتماعية عامل مكتسب وليس فطري وإذا كان الطفل أو الفرد بتحقيق نمائه وفقها ووفقا لوظيفتها وكان غرضه إشباع متطلباته المادية فإنه لا يحتاج إلى عامل التربية، أما إذا كان يصبو إلى تفعيل قدراته ومهاراته فإن التربية مطلبا مهما في مسار التغير أو التغير الاجتماعي الذي ينتهجه سواء

كان هذا التغير موجهًا للذات أو للمجتمع أو لكليهما لأهميتهما ومكانتهما في إحداث التغير والتغيير الاجتماعي، وعليه فإن القول بتنشئة الفرد تنشئة إجتماعية القصد منه جعله يتمتع بعضويته الإجتماعية جعله صانعًا لثقافة مجتمعه متفاعلاً مع بيئته الاجتماعية تفاعلاً إيجابياً قائماً لا على التمرد إنما على التغير باقتراح البدائل المعللة تعليلًا سببياً بتحديد الأسباب والنتائج المترتبة عنها وهنا تتحقق للشخصية كفاءة نوعية إنها التأثير لا مجرد التأثير بالتكيف السلي مع القواعد والقوانين التي يفرضها المجتمع، ولعل هذه المكانة هي التي حدثت بالمفكر ساطع الحصري التركيز على علاقة التربية بالإجتماع أو المجتمع أو ما يعرف بالتربية الاجتماعية، هذا ولقد خص الإنسان موضوعاً للتربية لأنه يخضع للزمكانية والتي من حيث كونها خاصية ماهوية مميزة للإنسان عن غيره من الكائنات الحية الأخرى والأبعد من ذلك أنه "إذا كان الإنسان موضوع التربية، إلا أن هذا الإنسان ربما يفترق عن كل الكائنات الأخرى حية أو غير حية في وعيه بالزمن... ولعل هذا الوعي هو أحد الأسباب الرئيسية التي ساعدته على أن يبني هذه الحضارات الكبرى التي يحفل بها صفحات التاريخ، ذلك أن وعيه بالزمن جعله يستفيد من خبرة الأمس ولا يكرر اليوم ما أخطأ فيه بالأمس"³، وهذا نمط من أنماط التغير الذي لا يمكن حضوره كخاصية في الكائنات الأخرى الحية منها والجامدة فإذا كانت تخص بوجودها في إطار المكان أنها تشغل حيزاً فيه فإنها تفتقد إلى البعد الزماني الذي يتمحور فيه الجانب التاريخي لكي تكون الإنسان كونه كائن تاريخي، والأبعد من ذلك أن هذا الأخير له القدرة على إدراك الزمن بنوعيه الزمن الشعوري أو السيכולوجي والزمن الموضوعي ووفقاً للأحداث التي تقع في قالب هذا البعد الزمني يقود الإنسان معركة التغير الإيجابي في محاولته الكشف عن الخطأ ووعيه ثم تعديله بإخضاعه لمقاييس الدراسة الإستمولوجية أو المراجعة ثم التصويب.

وبناء على هذه الوظيفة النقدية التي تتجه بالقصد والغاية نحو التعديل والتصحيح الذي يترتب عن الوعي بالزمن "كان لا بد أن يكون الزمن عاملاً حاسماً في تربية

الإنسان"⁴، ومن هنا يمكن تحديد النسق العلائقي بين التربية والإنسان علاقة منطقية تقوم على الشرط وجوابه، فالتربية شرط في اكتمال إنماء شخصية الإنسان ودفعها نحو التغيير من حيث أن "التربية عملية إنماء الشخصية بصورة متوازنة ومتكاملة وجوانب الشخصية المتوازنة المتكاملة منها الجانب الجسدي والجانب العقلي والوجداني والروحي والأخلاقي والاجتماعي والجماعي"⁵، من هذا المنطلق المعرفي يمكن القول أن موضوع التربية يجعلها تحتل مكانة هامة في الفكر العربي المعاصر، وليس معنى ذلك القول إن هذه الأهمية حديثة العهد بالظهور، إنما هي ضاربة جذورها في القدم منذ تحول اهتمام الفلاسفة ما بعد الطبيعيين الأوائل من الاهتمام بالطبيعة أو الكون والتساؤل حول أصله إلى تغيير الوجهة نحو الإنسان الذي يشكل محور هذا الكون، مع فلاسفة الإغريق سقراط، أفلاطون، أرسطو ثم استمر الاهتمام بالتربية كقيمة أخلاقية مع الفلاسفة المحدثين سواء في الفكر الغربي إيمانويل كانط، فريديريك هيجل، ناهيك عن فلاسفة الفكر العربي: أبي حامد الغزالي، ابن رشد، غير أنه لم يكن بالرغم مما أولى من اهتمام هؤلاء وغيرهم بالقواعد التربوية لم يكن حينها ارتقاء التربية إلى علم مستقل بذاته موسوما بعلوم التربية،

من هذه المنطلقات المعرفية يمكن حصر أو ضبط موضوع التربية في الإنسان لأنه الوحيد من بين الكائنات الأخرى الذي نخصه بالخطاب التربوي لسلوكه أو للفعل الصادر عنه والذي يمكن وضعه في ميزان القيم الأخلاقية التي وفقا لمبدأي الخير والشر تصنف السلوكات تربوية ولا تربوية، فلا يمكن الحديث عن التربية خارج حضيرة الإنسان الذي يشكل موضوعا مركزيا فيها أو بالأحرى "نجد أن موضوع التربية هو تنمية شخصية الإنسان عن طريق اكتسابه لثقافة الجماعة التي هو عضو فيها، وتزويده بما يجعله قادرا على التفاعل الإيجابي مع الجماعة والمساهمة في صنع الثقافة وتحديثها وبالتالي اكسابه كفاءة شخصية وتعظيم قدراته وإمكانيات الجماعة ورفع كفاءتها العامة"⁶، ما يمكن أن

نستشفه أن موضوع التربية يتمشى مع وظيفتها الكامنة في إنماء القدرات العقلية والأبعاد النفسية على اعتبار أن "التربية في حقيقة الأمر هي عملية تكوين النزعات الأساسية الفكرية والعاطفية⁷ والاجتماعية وبالتالي تحقيق اكتمال الشخصية بتكامل وظائف الأبعاد التي تتشكل منها تكاملا وظيفيا بمعنى كل بعد يؤدي وظيفته الخاصة به ويتفاعل مع غيره من الأبعاد في تكامل وظيفي .

هذا وإن كان هناك تباين في وجهات النظر بين اعتبار التربية فنا أم إمكانية تأسيس مشروعية علميتها لخضوعها لمعايير العلم، من حيث أن لها موضوعا ومنهجها وغايات أو أهداف تسعى لتحقيقها وبلوغها، هذا الاختلاف دفع بالعديد إلى إثارة ترجيح القول: "أنه لدينا علوما تربوية مثل المناهج وطرق التدريس والتربية المقارنة واقتصاديات التعليم واجتماعيات التربية وهكذا، لكن ليس لدينا علم التربية"، باعتبار التربية مجالا يقسم عددا من العلوم التي يصح وصفها بالتربوية بحكم استهدافها تنمية الشخصية من مختلف جوانبها ووفقا لقواعد منهجية مضبوطة⁸، ولعل هذا التباين مرده مختلف العوائق الإبيستمولوجية التي تحول دون تأصيل علمية التربية وواحدة

منها تنطوي على المفهوم الذي يخص الموضوع بحيث تعذر تحديد ضبطا دقيقا لمفهوم الإنسان والإجماع على ماهية واحدة كفصل نوعي تميزه عن غيره من الكائنات الحية ، و ذلك بحكم تعدد جوانبه كأبعاد فضلا عن تعدد المذاهب التي تأصل لهذا المفهوم و جوهره الماهوي، هذه العوائق الإبيستمية أمكن تجاوزها نسبيا بحيث "أحرزت العلوم التربوية نجاحا كبيرا في استخدام المناهج الرياضية والكمية في وصف وتفسير الظواهر التي تدرسها... على أساس أن هناك من الحقائق عند الإنسان والمجتمع ما لا يمكن فهمه فهما دقيقا إلا عن طريق الإحصاء والاستعانة بالمناهج الرياضية"⁹.

ومهما يكن من الأمر فإن القول بإمكانية تأسيس مشروعية القول بعلمية التربية من تعذره يرجع بالأساس إلى الضبط الإصطلاحي لهذا المفهوم بمعنى أن ضبط تصور لهذا

المصطلح هو الذي يتوقف عليه تصنيف التربية كفن أو اعتبارها علما ونحن نرجح استخدام علوم التربية ، التي من خلالها تتجلى أهمية التربية، والمتمثلة في تنمية الجوانب الأربعة المكونة للتربية حتى تحقق الشخصية تكاملها بسلامة البعد العقلي، النفسي، الجسمي، الاجتماعي باعتبارها مراحل في تكوين الأنا أو الذات ثم تكاملها وظيفيا.

وفضلا عن ذلك نجد إختلاف الفلاسفة حول تحديد دلالة مفهومية واحدة لماهية الإنسان فالمذهب العقلي يركز في تحديد ماهية الإنسان التي بناء عليها يصوغ مفهومها له، على ملكة العقل أو الذهن أو ما يمكن أن يوسع بفاعلية الذات فيعرف الإنسان بالجنس البعيد والفصل النوعي، كائن عاقل أو مفكر فيما يركز المذهب الشعوري أو النفسي أو السيكلوجي على ماهية الإنسان كائن شعوري أما المناطق فيعرفونه انطلاقا من الجنس القريب والفصل النوعي أنه حيوان ناطق.

فيما تتجه المناهج الاجتماعية إلى تحديد التميز الماهوي للإنسان وفقا للعضوية الاجتماعية ويعرف بأنه كائن اجتماعي أو مدني بطبعه، أما النزعات الأخلاقية فتؤسس ماهية الإنسان على مبدأ أخلاقي فتعرفه بأنه كائن أخلاقي، ومن حيث تميزه بثلاثية البعد الزمني الماضي، الحاضر، المستقبل، وبالزمكانية عرف وفقا لهذه الماهية بأنه كائن تاريخي، ما نلاحظه من تباين في تحديد ماهية هذا الموضوع واحدة ومتفق عليها بالإجماع شكل عائقا إبستمولوجيا أمام مشروعية تأسيس وتبرير علمية التربية والدفاع عن منطق الأطروحة التي تعد التربية فنا ومنهجيا في الحياة وليست علما، غير أن هذه العوائق وغيرها أمكن تجاوزها لما لهذه العلوم من أوثق صلة بالتربية من حيث هي قواعد وقيم لا يمكن إسقاطها إلا على الكينونة العاقلة التي تملك ملكة الفهم، الإدراك، التفسير لهذه القواعد والقوانين، أما الكائنات الحية الأخرى فتحول الكائن الذي يحظى بفاعلية الذات تحقيق تجليات التربية على مستوى الحيوان والبيئة، التربية الحيوانية والتربية البيئية، من هذه المنطلقات المعرفية يمكن حصر أو ضبط موضوع التربية في الإنسان لأنه الوحيد من بين الكائنات

الأخرى الذي نخصه بالخطاب التربوي لسلوكه أو للفعل الصادر عنه والذي يمكن وضعه في ميزان القيم الأخلاقية التي وفقا لمبدأي الخير والشر تصنف السلوكات تربوية ولا تربوية، فلا يمكن الحديث عن التربية خارج حضيرة الإنسان الذي يشكل موضوعا مركزيا فيها أو بالأحرى "نجد أن موضوع التربية هو تنمية شخصية الإنسان عن طريق اكتسابه لثقافة الجماعة التي هو عضو فيها، وتزويده بما يجعله قادرا على التفاعل الإيجابي مع الجماعة والمساهمة في صنع الثقافة وتحديثها وبالتالي اكسابه كفاءة شخصية وتعظيم قدراته وإمكانيات الجماعة ورفع كفاءتها العامة"¹⁰، ما يمكن أن نستشفه أن موضوع التربية يتمشى مع وظيفتها الكامنة في إنماء القدرات العقلية والأبعاد النفسية على اعتبار أن "التربية في حقيقة الأمر هي عملية تكوين النزعات الأساسية الفكرية والعاطفية"¹¹ والاجتماعية وبالتالي تحقيق اكتمال الشخصية بتكامل وظائف الأبعاد التي تشكل منها شخصية الإنسان ودفعها نحو التغيير من حيث أن "التربية عملية إنماء الشخصية بصورة متوازنة ومتكاملة وجوانب الشخصية المتوازنة المتكاملة من هي الجانب الجسدي والجانب العقلي والوجداني والروحي والأخلاقي والاجتماعي والجماعي"¹²، وإن مسار هذا التغيير لا يستقيم دون الاحتكام إلى الأطر الاجتماعية التي يحتكم إليها الفرد من حيث عضويته الاجتماعية ذلك "أن التربية إذ تهتم بإنماء الشخصية، تعتمد على حضارة المجتمع الذي توجد فيه... فلإنسان يتشكل وفقا لمجتمعه، كما أن المجتمع يتشكل أيضا بالفرد"¹³، إنه عامل التأثير والتأثير بين الإنسان والمجتمع، في بنيته نسخة متكاملة وظيفيا تقوم على مرجعية أو أصول التربية الذي يكون محورها مدارها موضوعها الإنسان ولأنه يحقق كماله أو اكتمال شخصيته بالأبعاد التي تتكون منها هذه الأخيرة فإنه وفقا لذلك التربية أنواع تنبثق من "مفهوم شامل ومتكامل لطبيعة الإنسان... فإذا كنا ننظر إلى التربية كما كان الأمر في عهود سابقة على أنها عملية خزن معرفي فسوف تكون التربية تربية عقلية، وإذا نظرنا إليها كما كان أهل إسبرطة في بلاد اليونان القديمة، ينظرون إليها باعتبارها عملية

إعداد بدني من الدرجة الأولى فسوف لا نرى منها إلا نوعا واحدا هو التربية الجسدية... فلا بد أن تتعدد أنواع التربية التي يحتاج الإنسان إليها"¹⁴، وهذا تبعا للجوانب التي تؤلف كلا متكاملا لشخصيته، فالجانب الجسمي يتطلب التربية الجسمية، والجانب العقلي يستوجب التربية العقلية، وأما النفسي فيحتاج إلى التربية النفسية والاجتماعي يتطلب التربية الاجتماعية والأخلاقي منه تلازمه التربية الخلقية، ومهما يكن من الأمر، فلا مناص من القول "إن العلاقة بين الفلسفة والتربية تمحضت من مولود جديد حمل سمات الفلسفة والتربية في آن واحد وهذا المولود هو فلسفة التربية... إن التربية ترتبط ارتباطا وثيقا بالفكر الفلسفي، حيث إنه عن طريق هذا الفكر، والذي يقوم به جماعة من المربين والفلاسفة وغيرهم، تبرز العلاقة بين الفلسفة والتربية"¹⁵، وهذا يتطلب من المربين أن يكونوا على دراية بالقضايا التي تثيرها وتعالجها الفلسفة من جهة ويتميزون بكفاءة الحوار كخاصية فلسفية وكأسلوب تربوي في إعداد النشء وتصبح والحال هذه "دراسة الفلسفة ضرورية لفهم النظريات والأفكار التربوية وتتبع ضرورتها من كونها تجيب على كافة الأسئلة التربوية الخاصة بالإنسان المتربي... وإذا كانت التربية في وضعها الحالي خيرة إنسانية مضمونها نقل الخبرات البشرية إلى الجيل الجديد فإن الفلسفة التربوية أو فلسفة التربية هي تطبيق الطريقة الفلسفية في ميدان الخبرات الإنسانية... مما يسهل عملية تطبيق النظريات في الميادين التربوية"¹⁶ لكن السؤال الذي يتعين علينا إثارتة : ما طبيعة العلاقة بين هذا الموضوع وفلسفة التربية ؟

للإجابة على هذا الطرح التساؤلي الفلسفي يتعين علينا إبتداء، تحديد طبيعة وماهية فلسفة التربية، ومنه تحديد الدلالة المفهومية لهذا المصطلح الفلسفي التربوي .

فلسفة التربية الطبيعة والماهية:

إن الفلسفة تخاطب فاعلية الذات بما هي تأملا عقليا وتتجه نحو الشعور كقصدية واعية، ففي الحالة الأولى تستخدم منهج التأمل العقلي بخطواته ضبط التصور أو بناء

المفاهيم ثم صياغة المشكلة أو الإشكالية وما ينحل منها من المشكلات في صيغة تساؤلية لإقامة الحجج والبراهين، فإنها في الحالة الثانية تتوخى منهجا فينومينولوجيا قائما على قصدية الوعي، ثم إننا تنطلق من التساؤل حول الذات في علاقتها بالعالم الخارجي من هذا المنطلق نجد أن الإنسان الذي يشكل موضوع التربية، يعد مركزية أساسية للموضوعات التي تتناولها الفلسفة وهنا نلمس وحدوية الموضوع بين الفلسفة والتربية فمن "حيث موضوع كل منهما فإن موضوع التربية هو الإنسان، والإنسان هو المحور الأساسي لموضوعات الفلسفة"¹⁷، والذي يوجه إليه الخطاب الفلسفي هو بذاته يقوم بفعل التفلسف انطلاقا من السؤال الوظيفي ثم ممارسة التأمل الذاتي هذا التكامل الوظيفي بين الفلسفة والتربية "دفع معظم الفلاسفة إلى اعتبار الفلسفة أمّا للتربية والتربية معملا للفلسفة... فمن خلال التطبيق التربوي يتأكد صحة هذه الفلسفة وحيويتها، سلامتها ونجاحها، وبذلك تكون التربية بمثابة معمل لاختبار الفلسفة وبصرف النظر عن أيهما جاء في المركز الأول أو الثاني، فالمؤكد أن الفلسفة توجه العملية التربوية من جهة، كما أن التربية تختبر الفلسفة من جهة ثانية ثم يحدث التفاعل أو "تغذية مرتدة بين الطرفين"¹⁸، نفهم من هذا أن التربية تمثل الجانب التطبيقي للفلسفة وفي الوقت نفسه فهي دراسة نقدية إبستمولوجية لمختلف القضايا التي تثيرها الفلسفة وتعالجها بممارسة فعل التفلسف وفقا لخصائصه المميزة والتميزة كالدهشة والإحراج، الحيرة وغيرها والتي تدفع كبواعث نحو إثارة التساؤلات أو الإشكاليات الفلسفية و مشكلات وإشكالات ، غير أنه من الجدير التنويه أن هناك من يعارض اعتبار الفلسفة أمّا للتربية ويدافع على نقيض هذه الأطروحة، كون التربية أمّا للفلسفة، ومن جهة أخرى نجد أن تحديد مفهومها جامعا مانعا موحدا لفلسفة التربية أمرا متعذرا مستعصيا لذلك فإن ضبط هذا المفهوم الفلسفي التربوي يكون بحسب الاتجاهات والمذاهب والتيارات الفلسفية فكل يحدد مفهوم فلسفة التربية وفقا للوظيفة التي تؤديها في نسق مذهبه، ومن منطلق وظيفي "يغطي هذا المصطلح في الوقت

الحاضر الجهد العلمي الذي يعبر عن نفسه في شكل نسق فكري متسق أو نظرية علمية تحدد غايات التربية وأهدافها البعيدة التي يتطلع المجتمع إلى تحقيقها وكذلك المعتقدات التربوية التي يستند إليها العمل التربوي مثل الفهم الذي يأخذ به المجتمع لطبيعة الإنسان الذي هو موضوع وغاية لتربية في نفس الوقت¹⁹، يتبين من هذا أن فلسفة التربية تتناول الإنسان كموضوع في علاقته بجوانب الشخصية المتكاملة خاصة البعد الاجتماعي وتحاول معالجته أو دراسته دراسة علمية عملية، بمعنى توجيه النظريات الفلسفية إلى دراسة نوعية في علوم التربية دون إسقاط النظرية إنما "يأتي هذا الجهد النظري اليوم تنويجا لمعرفة أصيلة لمختلف منجزات العلوم التي ترتبط بشكل مباشر أو غير مباشر بالتربية، فلم يعد اليوم ممكنا صياغة فلسفة للتربية بجهد فلسفي محض منقطع الصلة بمنجزات العلوم المختلفة"²⁰، بمعنى أن فلسفة التربية تستمد أصولها من الفلسفة التطبيقية وليست بحثا تأمليا خالصا ومن زاوية أخرى تعتبر "الفلسفة اساس نظري للتطبيق وهي المرحلة التي كانت فيها تابعة للفلسفة وملحقة بها شأنها شأن كل العلوم الشمولية على الحياة والحضارات الأولى"²¹، ولعل الغاية من هذا التوجه الفلسفي التربوي العملي هو محاولة تجاوز الأطاريح النظرية التي راجت وروج لها في العصور القديمة والحديثة من قبل النزعات العقلية المثالية التي تؤمن بقداية العقل والحقيقة المطلقة، وإجمالا يمكن تعريف فلسفة التربية أو الفلسفة التربوية "هي استخدام الطريقة الفلسفية في التفكير والبحث في مناقشة المسائل التربوية، أي القيام بجهد عقلي مناقشة وتحليل ونقد جملة المفاهيم الأساسية التي يركز عليها العمل التربوي، مثل طبيعة المعلم والمتعلم والنشاط المدرسي وطرق التدريس وتنظيم المناهج والمعرفة..."²².

ومعنى ذلك أن الفلسفة تتناول موضوعات التربية ذات الصلة بالإنسان وتقوم بتحليلها ومعالجة الإشكاليات والمشكلات العالقة بها، ودراستها دراسة نقدية للمفاهيم والمبادئ التي تقوم عليها التربية والنتائج المحصلة من الفعل التربوي كل هذه المسائل وغيرها

تتناولها الفلسفة بدراسة إبستمولوجية تستخلص من خلالها مختلف العوائق التي تحول دون الدراسة العلمية لمختلف القضايا التربوية، وصفوة القول فإن "الفلسفة التربوية تعتمد على الفلسفة العامة ولا نستطيع أن ننتقد السياسات التربوية القائمة أو أن نقترح سياسات جديدة أو أن نقيم نظاما تربويا من أجل تطويره وتغييره دون أن ننظر في المشكلات الفلسفية العامة التي تعتبر قاعدة أساسية تنطلق منها الأهداف التربوية التي نريد".²³

كما أن نسق العلاقة بين الفلسفة والتربية يتجلى بوضوح في ماهية وطبيعة فلسفة التربية التي تتجه بالقصدية نحو تنظيم حياة الفرد داخل الجماعة التي ينتمي إليها وتؤسس له عضويته الاجتماعية بما هو كائن مدني أو اجتماعي، اعتمادا على منطلقات فلسفية تربوية ومبر ذلك أنه "كما كان للفلسفة علاقة بكل نواحي الحياة، فإن التربية هي أساس نظام الحياة وفلسفتها في المجتمع، أي مجتمع، والتربية من وجهة نظر المجتمع عملية الغرض منها توجيه نمو الناشئ توجيهها يعده للمشاركة في حياة الجماعة مشاركة فاعلة مثمرة، كانت الفلسفة التي تؤمن بها الجماعة والغايات التي تتجه إليها، والمتطلبات التي تصبو لتحقيقها هي التي تحدد وجهات هذا النمو ومستوياته ومادامت الفلسفة مرتبطة بشتى ميادين الحياة في المجتمعات هي ارتبطت ارتباطا وثيقا بالتربية أيضا فالتربية بما تقدمه للفرد والمجتمع تحتاج أولا إلى أهدافها وما يحتاجه الأفراد والمجتمع من هذه التربية وهذا أيضا من موضوعات الفلسفة"²⁴.

فغايات التربية تتحقق بأبعاد فلسفية تنطلق من طرح مشكلات حول آليات التغيير الاجتماعي وكيفية رسم معالم نمو الفرد، هذه الغايات التربوية تتخذها الفلسفة موضوعا للدراسة التأملية والنقدية على حد سواء، لأنه لا يمكن إحداث التغيير في عياب الفهم والتحليل الإبستمولوجي لأهم العوائق التي تعيق النمو ثم تحديد الأسباب والشروط الكفيلة به، ولعل أهمها إلى جانب الخاصة الإشكالية أو التساؤلية، تأسيس علاقة الفرد بعضويته الاجتماعية على مبدأ وطريقة الحوار الفلسفي وهذه العملية التربوية من أهم

خصائص فعل التفلسف كانت مجدية عند فلاسفة اليونان خاصة سقراط الذي مارس فلسفته التربوية بالحوار التربوي.

هذا "وتعتمد الفلسفة التربوية على فلسفة نظرية لأن معظم المشكلات التربوية الرئيسية هي في صميمها مشكلات فلسفية، ونحن لا نستطيع أن ننتقد المثل العليا التربوية والسياسات التربوية أو نقترح مثلاً علياً أو فلسفات تربوية جديدة دون أن نأخذ في اعتبارنا مثل تلك المشكلات الفلسفية العامة كطبيعة الحياة الصالحة التي ينبغي أن تؤدي إليها التربية وطبيعة الإنسان ذاته، وذلك لأن الإنسان هو الذي نقوم بتربيته وكذا بيعة المجتمع لأن التربية هي عملية اجتماعية"²⁵، إن هذا التفاعل الوظيفي بين الفلسفة والتربية يسمح بمعالجة مختلف القضايا والمشكلات الفلسفية ذات الصلة بالإنسان والمجتمع معالجة تربوية، في الوقت الذي تشكل الفلسفة بما هي أسلوب ومنهج ونظام في الحياة نظرية تستلهم منها التربية القواعد والمبادئ التي تحولها إلى وقائع علمية عملية وتتجلى أكثر علاقة الفلسفة بالتربية من حيث الغاية التي ينشدها والمتثلة في محاولة بلوغ وإدراك الحقيقة، كانت مطلقة أو نسبية وذلك بحسب التيارات والمذاهب الفلسفية فئن كانت "الفلسفة العامة تحاول فهم الحقيقة ككل بشرحها بأكثر الطرق عمومة ونظاماً كذلك تنشُد الفلسفة التربوية فهم التربية في مجموعها مفسرة إياها بواسطة مفاهيم عامة تتجه نحو تحيّر الغايات التربوية وسياستها وعلى نفس النحو الذي تنتهجه الفلسفة العامة في التنسيق بين مكتشفات مختلف العلوم فإن الفلسفة التربوية تقوم بتفسيرها في علاقتها بالتربية"²⁶، إن فلسفة التربية تستمد المفاهيم التي تمكنها من فهم طبيعة الذات من الفلسفة، ذلك أن معظم الفلاسفة وخاصة فلاسفة الإغريق كان اهتمامهم منصبا حول وعي حقيقة وطبعة الذات، أو النفس فجدد التقييم الأفلاطوني للنفس، النفس العاقلة، النفس الشهوانية، النفس الغضبية، تقسيما ثلاثيا فيما اتجه أرسطو إلى التقسيم الثنائي لها، وهذا الاهتمام بطبيعة النفس أو الإنسان يسمح لنا القول بأن الفكر التربوي في أصوله

يرد إلى التأملات الفلسفية الأولى حول طبيعة الإنسان الذي اتخذ سقراط محورا ومدارا للتجاهل والتهكم والتوليد كمنهج لبلوغ الحقيقة باستخدام أسلوب تربوي عملي قائم على التساؤل والحوار، وهنا الفلسفة السقراطية والأفلاطونية وحتى الأرسطية منها لم تكن مجرد نظريات مصاغة في قالب التجريد إنما منبثقة من الواقع، أسهمت في بلورة أصول الفكر التربوي الحديث والمعاصر، لكن لا نفهم من ذلك فصل الفلسفة التربوية عن التأمل كمنهج فلسفي إنما تتحدد الصلة بحسب الغايات المنشودة فنجد أن "الفلسفة التربوية تأملية عندما تنشأ إقامة نظريات حول طبيعة الإنسان والمجتمع والعالم تعمل بواسطتها على تنظيم المعلومات المتصارعة المتعلقة بالبحث التربوي والعلوم الإنسانية وتعمل على تفسيرها، ولقد تقوم الفلسفة التربوية بوضع مثل هذه النظريات سواء باستنتاجها من الفلسفة النظرية وتطبيقها على التربية، وإما بالبدء من مشكلات تربوية بالذات إلى إطار فلسفي قادر على حلها"²⁷.

وهذا يفيد ضمينا أن الفلسفة إطار مرجعي للتربية فهي من جهة نظرية في التربية أو إن جاز لنا القول نظرية تربوية وهي بذاتها تعتبر آلية من الآليات المسخرة لحل المشكلات التربوية، وجهتان لعملة واحدة كغاية وهي إدراك حقيقة وطبيعة الإنسان "يقال إن الفلسفة والتربية وجهان مختلفان لشيء واحد، الأولى تبحث في أساسيات وماهيات الحياة، والثانية تتعدى ذلك في شؤون الحياة العملية، وتعريف البعض التربية على أنها فلسفة عملية تمس الحياة في كل موضع يدفعنا للتسليم بأنهما (الفلسفة والتربية) وجهان لعملة واحدة... فمن حيث غاية كل منهما: الغاية من التربية ترتبط ارتباطا وثيقا بالغاية من الحياة، أما الفلسفة فتقرر ما ترى أنه الغاية من الحياة والتربية تقترح الوسائل لتحقيق هذه الغاية ومن حيث التطبيق التربية هي الجانب الدينامي فهي الوسيلة العملية لتحقيق المثل العليا، والفلسفة هي الجانب النظري، والتربية هي الجانب العملي"²⁸ الذي يشكل موضوعا للدراسة ومحورا لفعل التفلسف والتأمل العقلي، وأما "التربية هي الجانب

التطبيقي للفلسفة، فهي الجانب الفعال في تأكيد مبادئها وتأسيس اتجاهاتها ومثلها العليا عن طريق غرسها في الأجيال الجديدة وتربيتهم تربية تتشكل فيها الشخصية تشكيلا يتفق والمبادئ الفلسفية لذلك فإن النظريات التربوية وأهدافها تختلف باختلاف الفلسفات التربوية وأهدافها ومثلها العليا التي تتصل بالحياة اتصالا وثيقا²⁹.

ومن هذا المعطى المعرفي تصبح الفلسفة تطبيقية بالتربية التي تحاول إسقاط النظريات الفلسفية التي تطرح قضاياها حول طبيعة الإنسان في علاقتها مع البيئة الاجتماعية، على واقع الإنسان وواقع المجتمع بهدف إعداد الفرد وتأهيله للتكيف مع بيئته وعضويته الاجتماعية وبدورها "تصبح الفلسفة هي نظرية التربية نشاط مقصود مرسوم للمحافظة على الثقافة وتطويرها ويصبح مجهود الفلسفة والتربية مركزا ليس في توريث الثقافة فحسب وإنما في عملية الفحص والاختبار والنقد المتواصل للثقافة والعمل على إعادة تفسيرها وتجديدها فإذا كانت الفلسفة هي ذلك النشاط الثقافي الذي يعبر فكريا عن أوضاع الثقافة ومشكلاتها ويحاول تعديلها وتطويرها فإن التربية هي ذلك المجهود العملي - الشكلي أو غير الشكلي- الذي يهدف إلى ترجمة قيم هذه الفلسفة إلى عادات واتجاهات ومهارات سلوكية لدى الأفراد"³⁰.

يتبين من هذا الطرح لوظيفة الفلسفة والتربية، أنه إذا ما حددنا ماهية الإنسان ببعد ثقافي، فنعرّفه تعريفا ماهويا، الإنسان كائن ثقافي وتكون خاصية هذا التعريف أنها ماهت بين الإنسان وجوهره الثقافي الذي يرتد إلى موروث اجتماعي، تاريخي وحضاري وكلها تصب في قالب تربوي قائم على الخصائص الماهوية لكيثونة الإنسان الثقافية فإن تحليل الأطر الثقافية التي تتشكل منها ماهية الإنسان لا يكون إلا بالطرح والمعالجة الفلسفية، وتقصد طرح المشكلات الثقافية ومعالجة القضايا التي تتضمنها، ومن جهتها تعمل التربية على تحويل هذه المعالجة النظرية للقضايا وربطها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بثقافة جماعة معينة ثم استخلاص النتائج بعد تفعيل البحث في الأسباب أو العلاقات السببية

بين مختلف الظواهر الثقافية التي يعد الموروث الاجتماعي صنيعها أو صنعتها ثم محاولة إنمائها وتطويرها والارتقاء بها إلى قيم وأبعاد حضارية، هذه الوظيفة العملية هي بذاتها عملية تربوية موجهة للإنسان وهادفة لتحقيق نموه والسمو به أو ترقيته إلى مصاف وتطلعات الحضارة والعصرنة.

مبنية عند نسق علائقي يكمن في حلقة التواصل بين الأنا والآخر "فالتربية هي عملية التواصل بين الأجيال الاجتماعية الراشدة التي تعمل على ترسيخ قيمها لدى الأجيال اللاحقة، بحيث تغدو جميع المدركات خاضعة لقوانين صارمة تبررها الأنساق الثقافية السائدة لدى المجتمع، وهذه الأنساق الثقافية تشمل الأفكار، العادات والتقاليد الراسخة والمكتسبة"³¹، ما يمكن أن يستوحى من هذا التعريف أن التربية تعمل على تثبيت القيم الاجتماعية وتفعيلها بين الأجيال حتى تصبح ملازمة لسلوكاتهم وليس مجرد قواعد نظرية خالصة فينشأ الفرد حاملا لقيم اجتماعية وثقافية في ذهنه فيمثل إليها في سلوكاته من حيث هي قواعد آمرة وناهية ولترسيخها يقوم المجتمع بإحيائها في مناسبات مختلفة حتى تطبع سلوك الأجيال الناشئة التي تحافظ عليها كموروث اجتماعي وثقافي، إن التربية وفقا لهذا المفهوم نشاط ثقافي يعزز الشعور بانتماء الفرد لثقافة المجتمع الذي ينحدر من صلبه، ويسهم في تفاعل الفرد مع بيئته الثقافية بتوطيد العلاقة بين الفرد والمجتمع، ذلك أن علاقة الثقافة بالمجتمع والتربية علاقة وظيفية بحيث "تسعى الثقافة للعمل على جمع مجموعة من الأفراد أو الجماعات التي يتكون منها المجتمع ليعيشوا في وحدة جمعية... إن ما يفعله الإنسان وما يقوله إنما هو تعبير عن تيارات ثقافية تأصلت في نفوسهم عن طريق التنشئة... مؤسسات التربية هي نفسها مؤسسات الثقافة"³².

ولأن الموروث الثقافي ليس واحد عند كل المجتمعات فإننا "عندما نستعرض الفكر التربوي قديما وحديثا نجد تباينا في النظرة إلى التربية من مجتمع لآخر ومن فترة زمنية إلى أخرى، لأن المجتمعات تختلف في فلسفتها الاجتماعية، وتتغير في ظروفها وإمكاناتها

وحاجاتها التربوية في مراحلها التاريخية المختلفة... لهذا يلاحظ أن الاختلاف في مفاهيم التربية وأهدافها من مجتمع لآخر أمر طبيعي بسبب الارتباط الوثيق بين حالة المجتمع والنظام التربوي فيه، فالتربية عادة ما تكون صياغة المجتمع بما فيه من معطيات وما له من تطلعات يسعى لتحقيقها"³³.

فلا بد من النظرة الإيجابية لنسق هذا التمايز والتباين لما ينتج عنه من تعدد وتنوع بين الثقافات وداخل الثقافة الواحدة بل الأبعد من ذلك لا بد من تقبله أي القابلية للاختلاف في كنف الإئتلاف مما يضمن ما يعرف بالتبادل الثقافي بين المجتمعات وتأصيله في الأجيال الناشئة.

وصفوة القول حول طبيعة الصلة بين الفلسفة والتربية أنهما أي "الفلسفة والتربية بدءا توأمين كالسياسة والتربية فالإنسان... قد جعل من الفلسفة مجالا لارتداد المجهول كما جعل السياسة طريقا لتنظيم الحياة فكانا أشبه بطرفي معادلة تصل التربية مكان المركز بينهما، وشأن مجالات الحياة كلها، كان لا بد للعلاقة بين الفلسفة والتربية أن تتطور مع تجربة الإنسان والتحويلات الاجتماعية، لذلك كان لا بد لكل حديث عن الفلسفة التربوية، باعتبارها (تركيبا جديدا متجاوزا لمرحلتين سابقتين، من البدء بهذا البعد التاريخي"³⁴.

نفهم من هذا المحتوى الدلالي لطبيعة العلاقة بين الثقافة والمجتمع والتربية بما هي بعد ثقافي أنها أي الثقافة ظاهرة اجتماعية مكتسبة عبر التربية كتنشئة اجتماعية، فهي علاقة علة بمعلول، علاقة سببية بحيث أن التربية توطد بالتنشئة الثقافية في شخصية الفرد فهي سبب في اكتسابه بعدا ثقافيا، بعد أن نمت عضويته الاجتماعية، أما التربية فتكمن وظيفتها في "تعليم النشء العادات والتقاليد الاجتماعية ومدهم بأنماط السلوك المختلفة"³⁵، بهذه السلوكيات يمكن للفرد من تنمية شخصيته من جهة والتأثير في مجتمعه من جهة أخرى في مسعاه نحو التغيير، أما عن علاقة التغيير الاجتماعي بالتربية فمن جهة

ما "تعتبر التربية عملية نمو موجهة للفرد يصل مستوى النضج الاجتماعي كقوة إيجابية في تغيير نفسه ومجتمعه... وهكذا نستطيع أن نحدد العلاقة بين التربية والتغير على نحو يبين ضرورة متابعة التربية لمسيرة التغير وتوجيهه وفق مصالح الفرد والمجتمع فالعلاقة بين التربية والتغير هي علاقة تبادلية والتربية وسيلة أساسية لزيادة العناصر الثقافية الجديدة في المجتمع من ناحية ووسيلة المجتمع أيضا للقضاء على المشكلات الاجتماعية التي تنشأ من انتشار هذه العناصر الجديدة وصراعاتها مع العناصر الثقافية السائدة"³⁶، من هذه المنطلقات تصبح عملية فعل التفلسف التربوي تستوجب في نسقها البنيوي خصائص فلسفة الفعل بمحتوى تربوي ونقصد من ذلك أنه إذا كانت الوظيفة الفلسفية قائمة على النقد المنهجي مما يفرض وحبوا إختلاف و تضارب الرؤى ووجهات النظر بحكم أن ماهية الفلسفة و طبيعتها خلافية فإن وظيفة الفعل التربوي أن تضع هذا الإختلاف في نسيج من الإئتلاف وهنا يتكامل الفعل الفلسفي أو فلسفة الفعل مع الفعل التربوي لينتج لنا حوارا فاعلا بين الأفكار ووجهات النظر المختلفة وحتى المتضاربة منها ثم يتطور و يتسع المجال ليشمل حوار الحضارات التي و إن كانت متميزة بالبنية المادية من حيث كونها تعكس الجانب المادي في العلم فإنها لا تستغني البتة عن الأفكار التي تعتبر المادة صنعتها فالأفكار تصنع المادة التي تنشأ منها الحضارات ،و إن كانت جدلية المادة و الفكر التي إحتدمت بين الفيلسوف الألماني المثالي "هيجل" و فيلسوف المادية الماركسية "كارل ماركس" لا تزال قائمة في الفكر الفلسفي المعاصر كإشكالية راهنة لها إرهاصات و مرجعيات في تاريخ الفكر الفلسفي وهي مستقلة عن موضوع الدراسة التي نحن بصدد معالجتها .

خاتمة

من خلال هذه الدراسة البحثية لموضوع التربية في علاقتها مع الفلسفة نتوصل إلى نتائج يمكن حوصلتها فيمايلي :

- التربية والفلسفة يتناولان دراسة موضوع واحد وهو الإنسان الذي يتميز بالزمكانية، هذه الوحدة في الموضوع لا يترتب عنها وحدة المنهج المستخدم لمعالجة القضايا والمسائل العالقة به، فإذا كانت الفلسفة تتناول الإنسان من حيث طبيعته وماهيته، كتأمل عقلي مجرد خالص، فإن التربية تتناوله في نسق الجوانب المشكلة لشخصيته وفي سياق ما يخضع له من أطر اجتماعية وثقافية، وإذا كانت الفلسفة تتخذ المسألة حول هذه الذات بالتنقيب عن المشكلات المنبثقة من روح وعمق المجتمع الذي يخضع له الفرد وفقا لعضوية اجتماعية وثقافية فإنه يترتب علينا القول أن القضايا التي تعالجها التربية مستمدة من مشكلات فلسفية كما أن التربية تستلهم من الفلسفة خصائص فعل التفلسف بهدف تحقيق غايتها الموجهة قصدا نحو تنمية شخصية الفرد وصقل مهاراته وكفاءاته بأسلوب الحوار الفلسفي القائم على السؤال الوظيفي، فيما تقوم الفلسفة بالدراسة النقدية الاستمولوجية لمختلف الأصول التي تركز عليها التربية وكذا مناهج الدراسات التربوية، **تحظى** في الوقت ذاته بالنزول من السماء إلى الأرض وذلك بتحويل النظريات الفلسفية من طابع التجريد الميتافيزيقي إلى مستوى الواقع العملي وعلى هذا الأساس تكون الفلسفة الجانب النظري للتربية فيما تمثل هذه الأخيرة الجانب الأداتي الممارساتي لمعالجة القضايا الفلسفية وردها إلى أصل منشئها وهو الواقع الاجتماعي، من هذا المنطلق يتبين مكانة الإنسان في الدراسات التربوية والأطاريح الفلسفية الساعية نحو إعداداته وتنشئته تنشئة اجتماعية وتأهيلية لأن يكون فردا فاعلا في مجتمعه ومواطننا صالحا يسعى إلى تغيير ذاته والتأثير الإيجابي في مجتمعه، محافظا على أطره الثقافية ومكيفا لها بما تقتضيه روح العصرنة.

- فضلا عن ذلك نجد أن الفلسفة منذ نشأتها كتساؤل نقدي حول طبيعة الإنسان كانت تمثل أمّا لمختلف العلوم غير أن استقلال العلوم عنها موضوعا ومنهجيا وغاية غير من وظيفتها بالتحول من جمع المعارف إلى دراسة نقدية لمبادئها وفروضها ونتائجها، فإذا

كانت التربية من المعارف التي استقلت عن الفلسفة وبحكم تميزها عن الفلسفة منهاجاً مع وحدوية الموضوع والغاية، فهل يمكن تبرير علميتها على أساس ثلاثية العناصر التي تؤسس علميتها الموضوع والمنهج والأهداف وما تتضمنها من مرامي وغايات، فهل أمكن ذلك للتربية أن تصبح علماً يمكن الإصطلاح عليه بعلوم التربية في ظل العوائق الاستيمولوجية التي تعترضها وواحدة منها تعدد المناهج التربوية لدراسة موضوع واحد وهو الإنسان بتعدد التيارات والاتجاهات التربوية فضلاً عن تعذر تحديد ماهية واحدة للإنسان متفق عليها بحكم تعدد الجوانب المكونة لشخصيته.

- إنه يتعين علينا التأسيس لفلسفة الفعل التربوي التي يكون فيها الاختلاف يدور في كنف الائتلاف بمعنى تقبل الرأي الآخر و الإنفتاح اللامتناهي على الروح النقدية "النقد ونقد النقد" على أن يكون مؤسس بالتعليل أي النقد الوظيفي البناء و ليس النقد الذي يكون وليد الصراع الإيديولوجي خاصة إذا ما تعلق الأمر بالفعل التربوي و موضوعاته التي لا تقبل الأدلجة و التسييس فلئن كانت هناك تربية سياسية فليس معنى ذلك إمكانية توظيف التربية لأغراض سياسية لأن هذا من شأنه أن يحدد بالوظيفة التربوية عن مهامها وماهيتها المتجهة نحو عملية نماء و تأهيل الناشئة للوظيفة الإجتماعية وكذا الدفاع عن الوطن و سيادته .

- صفوة القول إن تجليات فلسفة التربية متعددة بتعدد وتنوع علاقة التربية بالمجالات الفلسفية الأخرى، السياسة، الأخلاق، الاجتماع فنجد التربية السياسية، التربية الأخلاقية، التربية الاجتماعية، التربية البيئية، وأهم ما اهتمت به التربية والتعليم لما لها من أوثق صلة بمستقبل الفرد وآفاق ورهانات المجتمع، فهل التكامل الوظيفي بين الفلسفة والتربية كفيل بتحقيق تجاوزا لآليات العجز التي تشيها أزمة التربية والتعليم وكيف يمكن إدراجها في فلسفة الفعل؟.

الهوامش:

- ¹ جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1971، صص 266-267.
- ² طالب محمد أبو شعيرة، المدخل إلى علم التربية، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2010، ص197.
- ³ سعيد إسماعيل علي، فقه التربية، مدخل إلى العلوم التربوية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1466هـ-2001م، ص30.
- ⁴ المرجع نفسه، ص31.
- ⁵ رمزي أحمد عبد الحي، التربية ومجتمع الحداثة، ص199. نقلا عن: إبراهيم عصمت مطاوع، في أصول التربية، دار المعارف، القاهرة، 1984، صص 70-64.
- ⁶ سعيد إسماعيل علي، فقه التربية، ص28.
- ⁷ عصام محمد منصور، الفكر التربوي المعاصر والبرجماتية، دار الخليج، عمان، ط1، 2009، ص201.
- ⁸ سعيد إسماعيل، فقه التربية، ص147.
- ⁹ المرجع نفسه، ص164.
- ¹⁰ سعيد إسماعيل علي، فقه التربية، ص28.
- ¹¹ عصام محمد منصور، الفكر التربوي المعاصر والبرجماتية، ص201.
- ¹² رمزي أحمد عبد الحي، التربية ومجتمع الحداثة، صص 70-64.
- ¹³ سعيد إسماعيل علي، فقه التربية، ص108.
- ¹⁴ المرجع نفسه، ص36.
- ¹⁵ إبراهيم ناصر، فلسفات التربية، دار وائل للنشر، ط2، 2004، ص101.
- ¹⁶ المرجع نفسه، صص 103-104.
- ¹⁷ إبراهيم ناصر، المرجع نفسه، ص96.
- ¹⁸ حسان محمد حسان، دراسات في الفكر التربوي، دار الشروق، المملكة العربية السعودية، ط، صص 51-52.
- ¹⁹ عبد الفتاح تركي وآخرون، مفاهيم أساسية في التربية، مكتبة المعارف الحديثة، الإسكندرية، ص32.
- ²⁰ المرجع نفسه، ص32.
- ²¹ إلياس فرج، الفلسفة التربوية والسياسة التعليمية في منظور البحث، المعلم الجديد، مجلة تربوية ثقافية تصدرها وزارة التربية، الجمهورية العراقية، ج1، المجلد40، 1978، ص189-.
- ²² إبراهيم ناصر، فلسفات التربية، ص107.
- ²³ المرجع نفسه، ص106.
- ²⁴ عبد الكريم علي اليماني، فلسفة التربية، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 2004، ص39.
- ²⁵ محمد منير مرسي، فلسفة التربية اتجاهاتها ومدارسها، دار الكتب، 1983، ص39.
- ²⁶ المرجع نفسه، ص38.
- ²⁷ المرجع نفسه، ص39.
- ²⁸ إبراهيم ناصر، فلسفات التربية، ص96.
- ²⁹ المرجع نفسه، ص42.
- ³⁰ شبل بدران، أحمد فاروق محفوظ، أسس التربية، شركة الجمهورية الحديثة للطباعة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005، صص 170-171.
- ³¹ رمزي أحمد عبد الحي، التربية ومجتمع الحداثة وما بعد الحداثة، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص195.
- ³² طالب محمد أبو شعيرة، المدخل إلى علم التربية، صص 171-170.
- ³³ رمزي أحمد عبد الحي، التربية ومجتمع الحداثة وما بعد الحداثة، ص199.
- ³⁴ إلياس فرج، الفلسفة التربوية والسياسة التعليمية في منظور البحث، ص8.
- ³⁵ طالب محمد أبو شعيرة، علم التربية، ص71.
- ³⁶ المرجع نفسه ص189.